عود على بدء

بين الغـــــرب والشرق

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

(بقية المقال الرابع)

٨ — يسخر المناظر من قولنا أن هناك صلة اليوم بين الثقافة والعلم على اعتبار أن الثقافة تنبثق من العلم ، نظراً لأن الحياة اليوم ينظمها العلم بقواعده المادية — ويقول : أى صلة بين المبادئ الأدبية التى يقوم المجتمع عليها وبين علم طبقات الأرض . ونحن نقول إن هنالك صلة ، ومرد هذه الصلة أن العلم بكشفياته يقيم حياة مصبوبة على نمط معين ، ويتأثر بهذا النمط الانسان فى شعوره واتجاهاته ومنحاه ، بيان ذلك أن علم طبقات الأرض — وهى التى ضرب بها مثلاً المناظر — بما تنتهى إليه من اكتشافات لها أثر فى الحياة الأدبية ، ذلك أنه من المعروف الآن أن الكشفيات الأخيرة فى الصعيد من جهة أسوان كشفت عن مناجم للحديد يمكن استغلالها لمتوسط نصف مليون طن سنوياً لألفى عام . فهذا الاكتشاف الذى مرده البحوث العلمية فى طبقات الأرض لو استغل استغلالا صناعياً فى مصر لأقام صناعة فى مصر يشتغل فيها على أقل تقدير ثلاثة ملايين عامل ، ومثل هذه الحياة الصناعية تحدث تغيراً فى الحياة الأدبية والتصورات والأخلاق ، إذ يحدث تطور من صور حياة أدبية لشعب زراعى إلى حياة تكافح جماعة أخذت بالصناعة ، وعلى هذا الوجه يستبين مفهوم كلامنا ولقد ضربنا مثلا بمصر وبطبقات الأرض التى شاء مناظرنا أن يسخر اعتماداً عليها من قولنا بانبثاق الثقافة من العلم فى مدينتنا الراهنة لتظهر حقيقة غائبة عن العقول فى مصر الحديثة فى منحى الاخذ بها نحو الحياة الأوربية الصحيحة باقامة مجتمع صناعى فيها

أما محاولة المناظر التلاعب بكلامنا باظهاره فى صورة يخترعها تناقض ، فهذا ما نأخذه ونحاسبه عليه ، فلقد قلنا إن الثقافة تنبثق من العلم ومعنى هذا أن الثقافة شىء والعلم شىء ، وأخذنا على اليابان أنها أخذت بنتائج العلم الأوربى ولم تأخذ بالعلم الأوربى نفسه فكان نتيجة ذلك أنها عاشت عالة على أوربا فى علمها وحضارتها ؛ وأنها احتفظت بثقافتها التقليدية مع الأخذ بنتائج العلم الأوربى ، بمعنى أنها لم تأخذ بعلم أوربا وتقيم لنفسها ثقافة تقليدية جديدة تتكافأ مع العلم الأوربى ومنطقه وتنبثق من أسسه . فأين التناقض فى قولنا هذا ؟

لا يا صديقى ، لا يكون الكلام باسقاط بعض القول . قلنا إن اليابان أخذت بنتائج العلم الوضعى ، فجعلتها يا صديقى أنها أخذت بالعلم الوضعى ، وشتان بين الاثنين !

لسنا جوادى رهان نتسابق . ولسنا فى مجال نريد أن ننتصر لرأينا حقاً أو باطلا . إن فى أعناقنا مصير قضية ملايين من حيث تعلق مصيرها بقضية الغرب والشرق فيجب أن تكون وجهتنا الحقيقة وعدم تزييف الكلام ...

٩ — يشكرنا المناظر لما قلنا بأن المنطق شىء مشاع بين الأمم ، ظاناً أننا كنا أنكرنا مشاعيته من قبل ، وهذا ظن عريق فى الوهم . فنحن لم نغير من موقفنا شيئاً ... « المنطق مشاع ولكن يجب أن تمرن الأمم عليه قبل أن تصبح متفلفة فى تفكيرها ، إذ ليس المنطق أسلوباً فى التفكير يتبع تلقائية يجرى

— وبحث بلايل من هيد لبرج عن بدء الكتابة بالحروف القبطية وذكر اكتشافه لورقتين من أوراق البردى يتبين منهما المحاولات الأولى للكتابة بالحروف القبطية ويرجع تاريخ هاتين الورقتين إلى ما قبل أوراق البردي الموجودة بهيد لبرج والتى ترتد إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وأخير أيضاً باكتشاف ورقة بردى ترجع إلى القرن الثانى بعد الميلاد تبين لنا كيف استعان المصرى بالحروف الديموطيقية لخط الحروف القبطية التى أخذت عن اليونانية

هذا وقد قامت مناقشات بعد إلقاء طائفة من المحاضرات ، رأيت إهمال ذكرها خشية الاطالة والاثقال ، وممن اشترك فى المناقشات بجاء بجديد أو دفع وهماً أو حقق مسألة متشابهة الأستاذ ماسينيون والدكتور طه حسين بك والأستاذ جويدى والأستاذ كولان والأستاذ كابار والدكتور بشر فارس والأستاذ كانجنهيين والأستاذ كرنكو

« برلين »

مراد كامل
دكتور فى اللغات السامية

عليها ، إنما هي قبل كل شيء ميل عقلي واتجاه ذهني يمكن أن يكتسب !

هذا ما قلناه في مقالنا الأول ، فنحن عند رأينا بأن للمحيط أثره في المنطق والتفكير المنطقي . المحيط الطبيعي والمحيط الاجتماعي أو بتعبير أدق لنتوج الصلات والتفاعل المتخالطة من المحيط الطبيعي والمحيط الاجتماعي أثر في المنطق من حيث هو ميل عقلي واتجاه ذهني ، وفي هذا سر قعود الشرقيين عن مجاراة الغربيين ، لأن منطقهم حينما يتكافأ ومجتمعهم ذا الطابع الغيبي ، وحين يتغلب الطابع اليقيني على هذا الشرق فهذا المنطق الغيبي سيقف عقبة كؤودا في طريق رقي العالم الشرقي .

سيأتي ذلك اليوم قريباً وذلك الزمان وشيكاً ، وستقوم العقلية اليقينية في الشرق والمنطق الاثباتي في العالم العربي نتيجة لتغلب الاتجاه الغربي على هذا الشرق بحكم كون الغرب مركز الجذب الاجتماعي في عصرنا . إذاً فلسنا نحن في حاجة إلى الانتقال إلى الغرب لاكتساب عقلية يقينية كما يقول المناظر ، إنما كل ما نحن في حاجة إليه أن يتقوى الاتجاه نحو الغرب فتقوم العقلية اليقينية بين ظهرانينا . ومع هذا فالدلائل قائمة على أن العقلية اليقينية أخذت طريقها إلى هذا الشرق ، وهي أوضح ما تكون في المفكر المصري البحاثة اسماعيل مظهر وفي جماعة يحتذون حذوه اليوم .

أما ما يثيره من اعتراض لتعبيري بالفلسفة الاسلامية عن فلسفة ابن سينا والفارابي وابن رشد بأن فلسفة المفكرين في الاسلام لم تكن تمت إلى الدين بصلة ، وليست إسلامية ولامسيحية فمرد ذلك التباس في فهم مفهوم عبارتي ، فاصطلاح الفلسفة الاسلامية يعني فلسفة الفلاسفة الذين ظهروا في الاسلام ، أو بتعبير أدق يعني الجانب الفلسفي من المدنية الاسلامية . وإذاً يكون كل ما يبديه على اعتراضه ساقط بسقوط الاعتراض نفسه

١٠ — يتعجب المناظر الفاضل من تحليلنا الفلسفة الاسلامية إلا أنها تفيد إرادة الله بنظام هذا الكون وسننه . واعتبارنا أنها نتيجة للأثر الاغريقي التي توارثته عن مدارس الفساطرة والاسكندريين ، والواقع أني حائر صدد هذا التعجب الذي لا أفهم له معنى . ولولا حسن ظني بثقافة مناظري وعلمه لقلت إن مرده عدم الوقوف كلياً على فلسفه فلسفة الاسلام خاصة والفلسفة عامة ، وإلا فما معنى التعجب من تقييد إرادة الله بنظام هذا الكون وسننه ؟

ولولا خشية الاطالة لكنت سمحت لنفسي أن أنقل نتفاً من كتب الفلاسفة أشرح لمناظري الفاضل هذه المسألة ، وأظن أن في إمكانه أن يغنيني مشقة هذا النقل بأن يراجع كتب الفلسفة وخصوصاً المطولات منها فيما يتعلق بإرادة الله والخلق والابداع ..

* * *

وهناك أشياء لو ذهبت أعلق عليها وأبين زيفها في رد المناظر علينا ، لانتهيت إلى مقالين آخرين ، غير أني أكتفي بما اجتزأته في هذا المقال والمقال الذي سبق فيه الكفاية لاظهار زيف ما ذهب إليه مناظرنا الفاضل ، وإني لأرجو مناظري إن شاء أن يعاود الرد ألا يترك لشاعريته المجال فيصول ويجول ويتدفق على غير أساس علمي أو منهج بيّن ، وإلا لتعذر النقاش. فهاهو لم يخرج في كل رده بما يؤيد وجهة نظره أو ما يرد على وجهة نظري من الاجتماع والتاريخ

لقد كان المناظر كالشلال الهدّار المتدفق في رده ، ولكن كان مردّ هذا طبيعته النفسية ، ولهذا كانت تتكسر أمواجه على حقائق الاجتماع والتاريخ فما يفيق من الاصطدام بالواقع الملموس وما تقيمه من حواجز أمامه حتى يعود فيرتد ليتدفق من جديد في اندفاع مردّه كما قلنا طبيعته القوية ، ولكن ليصطدم بحقائق الواقع فيرتد لينسبط ويتموج لآفاق وأودية جديدة ، وهكذا ... ولكن إلى متى أيها الصديق ؟

إني أعوذ الصديق من وصمه منطقه الخطابي وأسلوبه الفياض في إثارة قضية زائفة إلى الحد الذي لا تحمد لنفسها ما يستندها وتقوم ... وإني وإن كنت قد شددت القول على صديقي المناظر فما بي الحاجة أن أقول له إن مردّ هذا ما يعلمه الموقف علي ، وصديقي يعرف ماله من الاعتبار عندي ، فلعل فيما قدمت ما يعتذر عني عند الصديق الكريم وحسبي في كل ما كتبته الحقيقة ، والحقيقة ضالة الانسان في هذه الحياة ، لا يرتاح إلا بأن ينتهي إلى وجه منها .

« ابوتيج » اسماعيل أحمد أدهم